الباب التاسع

مفاهيم دينية في الإسلام وفي أديان الشرق الأقصى

* عقائد اسلامية
* الهندوسية
* البوذية
* العالمية الصينية
* مقارنة

obeikandl.com

obeikandl.com

مفاهيم دينية فى الاسلام وفى أديان الشرق الأقصى

وفى هذا الباب :

١ ــ عقائد اسلامية :

الاسلام هو أحدث الأديان الكبرى ، فاذا ما قارنه المرء بالأديان الأخرى فسوف يبدو له أنه أقرب الى اليهودية من أى دين آخر ، ذلك أن كلاهما يحمل طابع التشريع ، الذى يستند على أساس من الوحى الالهى • فالخضوع لله يتطلب تنفيذ أحكام الشرع دون قيد أو شرط ، ولا يغنى عن هذا أداء المرء الصلاة أو أى نوع من العبادات الأخرى • فتنفيذ التشريع لا يرفعه أى عمل آخر ، مهما كان مصدر وقيمة هذا العمل • يسلم المسلم بما جاء فى القرآن الكريم دون أن يرفع صوته بنقد ، حتى ولا بينه وبين نفسه ، ويخضع خضوعا كاملا للأحداث التاريخية فى الدولة الاسلامية ويرجع ذلك الى ايمانه بأن هذا قدر مكتوب لابد من حدوثه فلا يستطيع أحد الحيلولة دون ظهوره على مسرح الحياة ، ولذا تجده يقف موقفا سلبيا ازاء الأحداث التى تجرى حوله(١) •

---

(١) تعرضت مسألة الايمان بالقضاء والقدر فى الاسلام لهجوم كثير من الأوروبيين وقد رد عليهم كثير من علماء المسلمين ، ومن أبلغ الردود ما كتبه الامام الشيخ محمد عبده حيث يقول :

« ••• اعتقد الافرنج أنه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر ، وبين الاعتقاد بمذهب الجبريين القائلين بأن الانسان مجبور محض فى جميع أفعاله ، وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الريح كيفما تميل ••• ومتى رسخ فى نفوس قوم أنه لا اختيار لهم فى قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون ، وانما جميع ذلك بقوة جابرة وقدرة قاسرة ، فلا ريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك والقوى ، وتنمحى من خواطرهم داعية السعى والكسب ، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم !!

وهكذا ظن طائفة من الافرنج ، وذهب مذهبها كثيرون من ضعاف العقول فى المشرق ، ولست أخشى أن أقول : كذب الظان ، وأخطأ الواهم ، وبطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا ، لا يوجد مسلم فى هذا الوقت : =

. . . . . .

= من سنى ، وشيعى ، واسماعيلى ، وزيدى ، ووهابى ، وخارجى — يرى مذهب (الجبر) المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ... بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزءا اختياريا فى أعمالهم ، ويسمى (الكسب) وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وأنهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزاء الاختيارى ، ومطالبون بامتثال جميع الأوامر الالهية ، والنواحى الربانية الداعية الى كل خير ، الهادية الى كل فلاح ، وأن هذا النوع من الاختيار هو مورد التكليف الشرعى ، وبه تتم الحكمة والعدل .

« .. نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى (الجبرية) وذهبت الى أن الانسان مضطر فى جميع أفعاله اضطرارا لا يشوبه اختيار وزعمت أن لا فرق بين أن يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ ، وبين أن يتحرك بقفقفة البرد عند شدته !! ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السلطة الفاسدة ، وقد انقرض أرباب هذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجرة .

« .. وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ، ولا من مقتضيات ذلك ما ظنه أولئك الواهمون .. الاعتقاد بالقضاء : يؤيده الدليل القاطع ، بل ترشد اليه الفطرة ويسهل على من له فكر أن يلتفت الى أن كل حادث له سبب يقارنه فى الزمان ، وانه لا يرى من سلسلة الأسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ماضيها الا مبدع نظامها ، وأن لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده بتقدير العزيز العليم ، وارادة الانسان انما هى حلقة من حلقات تلك السلسلة ... وليست الارادة الا أثرا من آثار الادراك ، والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما أودع فى الفطرة من الحاجات . فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة مالا ينكره أبله فضلا عن عاقل . وان مبدأ هذه الأسباب التى ترى فى الظاهر مؤثرة ، انما هو بيد مدبر الكون الأعظم ، الذى أبدع الأشياء على وفق حكمته ، وجعل كل حادث تابعا لشبهه كأنه جزاء له ، خصوصا فى العالم الانسانى .

« .. ولو فرضنا أن جاهلا ضل عن الاعتراف بوجود اله صانع للعالم ، فليس فى امكانه أن يتملص عن الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية فى الارادات البشرية . فهل يستطيع انسان أن يخرج بنفسه عن هذه السنة التى سنها الله فى خلقه ؟ هذا أمر يعترف به طلاب الحقائق ، فضلا عن الواصلين !!

« .. الاعتقاد بالقضاء وللقدر ، اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التى ترجف لها قلوب الأسود وتنشق منها مرارة النمور .. هذا الاعتقاد =

أسس محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ دولة « ثيوقراطية » ــ فلم تكن نظاما كهنوتيا مثل ما كان عند الكنيسة الكاثوليكية ــ ، فكل أنشطة الحياة خاضعة للوحى الذى أنزله الله للمؤمنين • وهكذا اندمج الدين فى مجالات الحياة اليومية • فقد ربط الاسلام الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية ، فأصبح بذلك دينا عالميا وضمن قيام مجتمع عالمى فى ظل تطبيق مبادئه • ولم يكن هذا عسيرا بالنسبة للاسلام ، لأن مبادئه غير معقدة ، ولذا تفهمها كل طبقات المجتمع الثقافية • ويكفى أن ننظر الى بساطة التوحيد الذى دعا اليه فى القرآن الكريم حيث يقــول :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد »(١) •

فالانسان مكلف فقط بطاعة الله ، وتنفيذ أوامره ، وبهذا يكون قد أدى واجباته الدينية • ولمــا كانت العقيدة لا تطلب منه القيام بأعمال تفوق طاقته ، أو التى تتطلب منه تحمل مشقة فى حياته ، أو الغاء

= يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الأحوال ، ويحليها بحلى الجود والسخاء ، ويدعوها الى الخروج عن كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الأرواح ، والتخلى عن نضرة الحياة •• كل هذا فى سبيل الحق الذى دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة •

« •• الذى يعتقد بأن الأجل محدود ، والرزق مكفول ، والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء ــ كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه ، واعلاء كلمة أمته أو ملته ، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ كيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله ، فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الأوامر الالهية ، وأصول الاجتماعات البشرية ؟

« امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد ، مع بيان فضله فى قوله الحق :

« الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » •

(آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤)

« •• هذا الاعتقاد هو الذى ثبتت به أقدام بعض الأعداد القليلة منهم أمام جيوش يغص بها الفضاء ، ويضيق بها بسيط الغبراء ، فكشفوهم عن مواقعهم ، وردوهم على أعقابهم ••• » •

(تاريخ الامام : ج ١ ص ٢٥٩ ــ ٢٦٧ عن الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ١٥٤ ــ ١٥٧) •

(١) سورة الاخلاص •

ذاته ، فقد كان لهذا الدين قوة جاذبية فعالة ، جعله يتقدم على كل الأديان الأخرى فى مجال الانتشار بين شعوب العالم ومنحت المسلمين فى كل أنحاء العالم وضعا سوى بينهم • — فى التقييم الدولى — وبين أصحاب الأديان الأخرى • طبع الاسلام أتباعه بالطابع الاسلامى الموحد ، لا فرق فيه بين غنى وفقير ، ولا بين أبيض وأسود ، لكن هذه البساطة فى العقيدة كانت سببا فى هجوم بعض أتباع الأديان الأخرى على الاسلام ، فالبوذيون والعالميون الصينيون(١) يستنكرون خضوع المسلم لوحدانية الله وايمانه بهـا ايمانا لا يقبل أية أفكار أخرى تنال منها • والهندوسيون يستنكرون عدم تقديس المسلمين للبقرة التى يقدسونها منذ القدم ، كما لا يقبلون استنكار الاسلام لحرق المتوفى عنها زوجها فالاسلام لا يأمر بقتل البقرة ولا يحرم ذبحها ، كما يسمح للمتوفى عنها زوجها بالزواج من آخر •

هذه أمثلة فقط ذكرتها للدلالة على أن كل دين يرى أتباعه أن تعاليم دينهم هى التعاليم الصحيحة • الموصلة الى رضاء الله ، وأن ما عند الآخرين ليس الا ضلالا ، وفسادا للنفس الانسانية ، وللمجتمع البشرى • وبصرف النظر عن المذاهب المختلفة • داخل كل دين فهناك اختلاف جوهرى فى التعاليم الأساسية بين هذه الأديان •

٢ — الهندوسـية :

عندما زحف المسلمون على القارة الهندية ، أطلقوا على سكانها

---

(١) العـالمية اصطـلاح استعمله البـاحث « ج•ج•م• دى جروت » J.J. M. de Groot عام ١٩٢١) فى عام ١٩١٨ م للدلالة على مجموع الفكر الصينى ، اذ يندرج تحته كل الأديان الصينية والمذاهب الفلسفية • وفروع العـلم المختلفة • وقد أدرج علم الأديان الحـديث « الكونفوشيوسية » و « التاوزمية » تحت مفهوم « العالمية الصينية » فقد كان الشعور بالوحدة — التى يتحكم فيها قانون عام شامل — بين الانسان والكون طابعا مميزا لهذين الدينين ، والاتجاه الى جعل الحياة منسجمة مع ايقاع نواميس الكون متحكما بالدرجة التى جعلت (دى جروت) يتوصل فى عام ١٩١٨ الى اصطلاح العالمية ، وقصد به « الأسس الفكرية الكلية » لتصور الصينيين للكون والأخلاق وجوهر التولة ، والعلم ، فالعالمية مبادىء تقوم أسسها على العالم بكل أجزائه وظواهره ، وتهدف الى بيـان الانسجام بين السماء والأرض والانسان (قارن : Nolle ص ٤٠٣) •

الذين لا يدينون بالاسلام ولا بالمسيحية ، ولا بأى دين من الأديان التى يعرفها المسلمون « هندوس » ومنها اشتقت كلمة « الهندوسية » علما على الدين المحلى فى الهنـــد وفى نفس الوقت استعملت كلمة « البرهمـــانية » نسبة الى « براهمـــا » وهو لقب رجل الدين فى الهندوسية .

أثبتت الحفريات التى أجريت فى عامى ٢١ ، ١٩٢٢ م أن ما يسمون بالآريين لم يكونوا — كما كان مسلما به حتى ذلك التاريخ — صناع الحضارة الهندية ، بل بناها شعوب ذات حضارة ومدنية زاهرة فى شمال الهند فى حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ... ويمضى المؤلف فى بيان دين هذه المنطقة قبل دخول الآريين اليها ، وما أحدثه الآريون فيه بعد غزوهم ، ثم يتحدث عن الكتب المقدسة وما فيها من أحاديث عن الآلهة ، وعن الطبقات وأفرادها ... ثم يقول : يبدو هذا الدين للمسلمين أكثر بعدا عن تعاليمهم من الأديان الأخـــرى كلها ، فهم يعتبرونه طقوسا وعبادات للأصـــنام فالمسلمون لا يرون الهندوسية — حتى اليوم — شيئا آخر غير أنها « عبادة أوثان » وان كان بعضهم يعتبرها دينا له كتب ، ويرى أن ما فيها من أسماء لآلهة متعددة ليس الا تعبيرا ومسميات للملائكة .

٣ — البـــوذية :

خرجت البوذية من منطقة الهملايا فانتشرت أولا فى الهند ، حيث كان يعيش مؤسسها الأمير « سيذهارتا » الذى أطلق عليه فيما بعد « بوذا »(١) أى العارف المستيقظ والعالم المستنير ، ويعتقد البوذيون

---

(١) كان أبوه « غوتاما » زعيم قبيلة ، وقد ولد « بوذا » فى أواخر القرن السادس أو أوائل القرن الخامس قبل الميلاد . ونشأ قوى البنية ممتاز التفكير ، وتزوج وهو فى التاسعة عشرة من عمره من ابنة أحد الأمراء . وقد اتجه تفكيره منذ صغره الى التحلى بالأخلاق الفاضلة وأخذ يقارن بين حياة الترف والنعيم التى يتقلب فيها وحياة البؤس والشقاء التى يرزح تحت نيرها قومه فازدادت همومه ومتاعبه النفسية .

وفى التاسعة والعشرين من عمره غادر قصر والده ، وهجر حياة الترف والجاه ولجأ الى احدى الغابات متأملا مفكرا . وفى فجر يوم من الأيام بينما كان يجلس تحت شجرة أشرق عليه نور الحق ينبئه أن شقاء الحياة وضجرها منبعث من رغبات النفس . وأن الانسان قادر على أن يكون سيد رغباته =

أن ظهوره فى العالم هو احدى حلقات الظهور التى بدأت من بدء خلق العالم لتدفع « عجلة الشريعة » فتتجدد الصـورة الدينية فى أذهان البشر • وتمتد جذور « عجلة الشريعة » — وهى رمز البوذية — فى الفكر فتصور قيام طبقة من وقت لآخر على سطح الأرض المتحرك — وهو ما يسمى بالعجلة الدائرة — تكون بمثابة سلطة سليمة على الأرض ••• ثم يمضى المؤلف فى شرح العقيدة البوذية وتعاليمها فى « الكارما »(١) و « النرفانا »(٢) ومفهوم الألوهية و « النبوة » وبيان قيام نصوصها المقدسة ومن بينها ما بقى منها حتى الآن ، وهو المعروف باسـم « قانون بالى Pali - kanon »(٣) ثم يشرح طقوسها وتأثيرها على

= لا عبدا لها ، وفى استطاعته الافلات من هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية الداخلية ومحبة الآخرين وقد أصبحت هذه الشجرة مقدسة فيما بعد عند أتباعه •

وحينئذ غادر الغابة وأخذ ينشر رسالته ويتجول فى البلاد ، معلما كل من أقبل عليه ، متناولا طعامه مما يجود به عليه الناس •

ومات فى الثمانين من عمره وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام (أديان العالم الكبرى : ترجمة حبيب سعيد ، عن ذيل الملل والنحل للشهرستانى: تحقيق محمد سيد الكيلانى ص ١٤) •

(١) « كارما » تعنى فى السنسكريتية : العمل : وهى من أهم المبادىء الأخلاقية فى الهند وتقوم عليهـا فكرة تناسخ الأرواح فى الهندوسية والبوذية ، والجاينية • وتتلخص فكرة « الكارما » فى أن لكل من الأعمال الطيبة والأعمال السيئة ثمارا ونتائج تتحقق فى الحياة الراهنة أو فى حياة تالية ، اذ يتعلق مصير الانسان بعد الموت بعمله فى هذه الحياة أو فى حياة سابقة ، فعمله يجدد صورة حياته القادمة فى فصيلة عليا أو سفلى • ويعتقد البوذيون أن الآلهة تخضع أيضا لهذا القانون الصارم ويمكن التخلص من هذا القانون ، اذا حافظ المرء على السلوك الطيب ولم يرتكب أعمالا تعيده الى الحياة مرة أخرى • وترى الجاينية أن « الكارما » هى المـادة التى تدخل الأرواح مع الأعمال فتدنسها ، وعليه فيجب ابعاد « الكارما » ولا يمكن ذلك الا بواسطة حياة الزهد القاسية •

(٢) هى الطور الرابع الذى يبلغه الزاهد بعد أن يكون قد حطم جميع القيود والأغلال التى تقيد نفسه ، وتمنعها عن ادراك الحقائق وأعرض عن شهوة البقاء وتملكه عقل هادىء مطمئن لا يتسرب اليه الخطأ وتجرد عن كل الأمانى والرغبات ، والجهالات ، وأسباب الخديعة والاغراء ، بعد هذا كله يبلغ البوذى طور « النرفانا » يبلغه فى حياته على الأرض كما فعل بوذا •

(٣) وهو عبارة عن ثلاث مجموعات : =

الناحية النفسية • وتعاليمها الأخلاقية ، وأثرها فى الحياة الاجتماعية •• ثم يقول : « تتضمن البوذية أفكارا تعتبر من وجهة نظر أديان التوحيد غريبة ، لا يمكن قبولها ، فهى تنكر عليها نظرية الخلاص الذاتى ، وترى فيها يأسا وقنوطا أو تؤدى الى انكار الحياة الأخروية ، اذ أن أى احساس ينبغى أن يكون فى هذه الحياة اذا لم يكن وراءها سوى الأفكار المقبضة المحزنة ؟ كذلك جواز رجوع الروح — طبقا لمفهوم عقيدة البوذية — فى حيوان(١) يحمل المرء على أن يسلب البوذية كل قيمة أخلاقية فى المجال العملى ، ويدفعه الى أن يطلق على « النرفانا » « مثالية السلبية » •

٤ — العالمية الصينية :

ينقد الباحثون العالمية الصينية — التى كانت أسس فلسفة « كونفوشيوس »(٢) •• و « لاوتز »(٣) •• بأنها لم تهتم الا بالناحية

= الأولى : ما قرأه « كاسى أبا Kasy Apa » على البوذيين فى عام ٤٨٣ ق•م عن آراء « بوذا » فيما وراء الطبيعة وأطلقوا عليها « سلة العقائد » •

والثانية : ما رواه « أوبالى Upali » عن شريعة النظام وأطلقوا عليها « سلة الشريعة » •

والثالثة : ما رواه « أننداAnanda » من حكايات وأمثال ومواعظ ، وسميت هذه الروايات « سلة الحكايات » وعرفت هذه المجموعات الثلاث باسم « قانون بالى » نسبة الى اللغة البالية التى دونت بها هذه الروايات •

(١) تتحدث كل فرق البوذية عن التناسخ وارتباطه بالكارما ، فبعضها يرى التناسخ بين الانسان والحيوان كما هو معروف فى الهندوسية ، وبعضها يرى أن تناسخ النوع الانسانى مقصور عليه وتناسخ الحيوان مقصور عليه ، فلا تنتقل روح من انسان الى حيوان ، ولا عكس ، غير أنا نرى فريقا آخر يذهب الى تضييق دائرة التناسخ فيرى أن روح العالم تنتقل الى عالم ، وروح الملك تنتقل الى ملك ، وروح الصانع تنتقل الى صانع ••• وهكذا • وهذا مناقض لمفهوم الكارما فى الفكر الهندى •

(٢) حكيم صينى ، أسس « الكونفوشيوسية » فجمع فيها مبادىء نظرة الصينيين الى الكون والحياة والأخلاق ، والمجتمع وقواعد قيام الدولة •

ولد « كونفوشيوس » فى عام ٥٥١ ق•م• فى الولاية المعروفة الآن باسم « شانتونج » ومات فى عام ٤٧٩ ق•م• ولم يكن لتعاليمه أثر كبير فى حياته من الوجهة الدينية ، ولكنها اتخذت أساسا للدولة — بدافع سياسى — بعد موته بعدة قرون ، فأصبحت دينها الرسمى • وعلى الرغم من أنه لم يدع النبوة ، فقد أجمع الصينيون على عبادته ، وتقديس كتبه •

(٣) يقال انه كان معاصرا لـ « لكونفوشيوس » وهو يعتبر مؤسس =

الدنيوية فقط وأنها خالية من أى مشاعر داخلية ، وقد وصف « شوبنهاور » •• « الكونفوشيوسية » بأنها تعاليم أخلاقية سياسية لا روح فيها •

ربطت العالمية الصينية — بوصفها نظرية كونية — قواعد كل ظواهر الكون ببعضها ، وضمت اليها قواعد الأخلاق الانسانية ، وأسس قيام الدولة ، وعناصر العلم ، وكان الهدف من ذلك قيام رباط متناسق بين الانسان والأرض والسماء •

انقسمت العالمية فى حوالى عام ••• قبل الميلاد الى :

(ا) كونفوشيوسية : نسبة الى مؤسسها « كونفوشيوس » الذى اهتم بالكتب القديمة فنقحها ، ثم هذبها ، وبذل جهدا كبيرا فى استخلاص قواعد الحياة اليومية منها ونظاما لتشكيل الدولة على أسس أخلاقية • وكان هدفه من ذلك بناء نظام أخلاقى ، قائم على أساس التقاليد الموروثة ، التى تقدس أسلاف الانسانية ، وحب الناس بعضهم لبعض • كما توجب على الفرد التخلص من العادات السيئة ، وذلك بتقديم الطيبات ، وضبط النفس ومنعها من ارتكاب الآثام ، ولكن الدولة — كما يقول « كونفوشيوس » — : يجب أن تساعد رعيتها على تحقيق هذه المثالية فى السلوك ••• ويمضى المؤلف فى شرح نظرية « كونفوشيوس » فى تأثير الطقوس على الفرد والمجتمع ، مبينا آراءه فى الكون والآلهة ، وموضحا النصوص المقدسة وموقف المؤمنين بالدين « الكونفوشيوسى » منه •

ارتفعت منزلة « كونفوشيوس » قبل ميلاد المسيح

«التاوزمية» ويحتوى كتاب « تاو — تى — كينج Tao - te - king » فى أبوابه التى بلغت واحد وثمانين على المبادىء الدينية والفلسفية فى « التاوزمية » ومن أهمها تأكيده على القناعة التى كانت منطلق دعوته الى الزهد والتقشف الصارم وهناك أسطورة حول قيامه بتدوين هذا الكتاب ، تقول أنه عندما أراد مغادرة الصين رجاه حرس الحدود أن يدون تعاليمه فدونها فى هذا الكتاب • ولم تلبث تعاليمه أن أصبحت « دينا » بعد موته ، كما تحولت شخصية « لاوتز » الى فكرة مجردة عن التجسيم الانسانى ، ثم الى ألوهية ذى قدرة مطلقة وأخيرا قدس الصينيون « لاوتز » نفسه على أنه الاله •

بقليل فى نظر المؤمنين بتعـاليمه الى مرتبة تقارب مرتبة الألوهية • وفى عام ١٩٠٦ م وضع رسميا مع آلهة السماء والأرض • كما ظلت « الكونفوشيوسية » تعبر عن الفكر الشعبى والرسمى حتى زوال القيصرية فى عام ١٩١٢ م. الا أنها فقدت مكانتها فى الصين الشيوعية • بل وتحارب محاربة عنيفة من حملة الفكر المـاركسى •

(ب) التاوزمية : أسسها فيلسوف اسمه « لاوتز » الذى ولد فى عام ٦٠٤ ق•م وقد تحولت فيما بعد الى دين الزهد ، الذى لا يتحقق الا بواسطة الفضيلة طول الحياة ، فمن يلتزم الفضيلة(١) يمكن أن يكون مقدسا ويجازى بالاقامة فى « جزيرة السعادة » • وقد قام كثير من قياصرة الصين بحملات استكشافية للبحث عن هذه الجزيرة ••• ويمضى المؤلف فى بيان أثر « البوذية » على « التاوزمية » ويبين أنها أقامت المعابد فيما بعد واعتنقت مبادىء خاصة بها تتعلق بنشأة الكون ، وعالم الألوهية وقد وصف المسلمون والمسيحيون المفهوم الصينى لنظام الكون — القائم على التناسق المتجانس بين الانسان والكون — الموجود فى أديان الصين بأنه خيالى مغرق فى اللاواقعية •

٥ — مقـارنة :

على الرغم من أن الاختلاف بين الأديان كبيرا ، وادعاء كل بأنه هو وحده « الدين الحق » واضح ، فان هناك أشياء مشتركة بينها ، وخاصة فى مجال الاعتقاد بأن العالم يخضع لنظام كلى معين ، كامن فى فكرة موجودة خلف الكون المشاهد • كما تتفق أيضا فى أن الأخلاق والفضيلة يكونان الأساس لكل اتجاه دينى وأن اتباع القواعد المفروضة

---

(١) الفضيلة التاوزمية : هى عدم لعمل ، والاقتصار على التـأمل والتجربة الصوفية فكما أن السماء والأرض لا تنطقان بكلمة واحدة ، وكما أن الفصول تتوالى وفق نظام دقيق دون تدخل منا ، ودون أية مناقشة ، كذلك تتحقق الفضائل ويسود السلام ، اذا لم نتدخل ولم نعمل ، ومن هنا ساد بين أتباع « التاوزمية » حكمة : « اشغل نفسك بلا مشغلة » •• أى ان الانسان يجب أن يشغل نفسه بلا شىء ، أى لا يشغل نفسه بشىء على الاطلاق •

يوجه السلوك العملى(١) . كذلك يمكن القول بأن أديان الشرق الأقصى لا ترفض تعاليم الأديان الأخرى رفضا مطلقا ، اذ يجوز لمعتنقيها قبول مبادىء دين آخر دون أن يعلن ارتداده عن دينه ، فيجوز لهم — على سبيل المثال — وضع عيسى عليه السلام بين من يقدسونهم ، ومساواته بـ « بوذا » و « كونفوشيوس » و « لاوتز » دون أن يشعروا بأنهم ارتكبوا اثما فى حق دينهم أو تنكروا لشىء من مبادئه .

من الملفت للنظر ان الأديان الكبرى نشأت فى آسيا ، ففى شرقها : قامت الأديان الهندية والصينية . وفى غربها : نشأت اليهودية والمسيحية والاسلام . نعم : لقد نشأ كل دين — غالبا — فى منطقة تختلف عن المنطقة التى نشأ فيها الدين الآخر ، ولكن لم يمنع هذا من خروجه من منطقته وانتشاره بين سكان المناطق الأخرى . وكان مؤسسو الأديان وأنبياؤها أبناء عصرهم حملوا رسالة الحق — كل حسب اعتقاده ، أو امتثالا للوحى الذى نزل عليه — فدعوا أقوامهم الى ما ينبغى عمله للوصول الى النجاة ، وذكروهم بما نسيته المجتمعات من الرسالات السابقة ولذ يتساءل المرء — سواء أكان من أتباع الأديان الشرقية أو كان مؤمنا بدين سماوى كاليهودية أو المسيحية أو الاسلام — عما اذا كان الانسان فى وضع يمكنه من تأدية عمل يوصله الى السعادة فى الدارين ، أو أنه يمكن أن يأمل فى المغفرة عن طريق الايمان ، وبتعبير آخر : هل يوصل الايمان وحده الى السعادة ... أم لا بد من العمل(٢) ؟

---

(١) هذه قضايا كلية . يشير الاتفاق فيها الى تشابه بين الأديان ، لأن هناك اختلافا واضحا وكبيرا بين الأديان السماوية والأديان الاخرى فى تفصيلات نشأة الكون . كذلك لا يقرب الاتفاق فى أن الأخلاق والفضيلة هما أساس كل اتجاه دينى الأديان من بعضها ، لأن مفهوم الأخلاق والفضيلة يختلف فى التفاصيل من دين لآخر . وبناء عليه تختلف قواعد السلوك وأسلوب الحياة بينها .

(٢) أجاب الاسلام فى مواضع عدة من القرآن الكريم بلغت أكثر من ستين مرة على هذا السؤال حيث بين أنه لا بد مع الايمان من عمل صالح ليبلغ المرء درجة السعادة ويدخل جنات عدن :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة » (البقرة : ٨٢)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم » (البقرة : ٢٧٧) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (البينة : ٧)